قراءة لقاموس مصطلحات التّحليل السّيميائيّ للنّصوص
(إنجليزي- فرنسي - عربي)
للأستاذ رشيد بن مالك

عبد القادر شرشار

جامعة وهران - الجزائر

أوّلا. هذا القامــوس[1]

هو قبل كل شيء أداة تواصل علميّة، بين لغات عريقة في أصالتها، وإن اختلفت منابعها، وبواعث تطورها، وطبيعة صيغها المورفولوجية والتركيبية، والأساليب المتبعة في استخراج مشتقاتها ومزيداتها.

1. أهميّته

تبدو أهمية هذا القاموس في وحدة الموضوع الذي يعالجه، فهو يقدم جزءا من مصطلحات المادة السيميائية بطريقة علمية، يسهل على القارئ العربي فهمها، والاستعانة بها في استيعاب ما جاء في البحوث والدراسات اللسانية والسيميائية الحديثة والمعاصرة الغربية.

ويتضمن من الترسيمات (Schémas) والأشكال، ما يجعله متميزا، فهو معجم جامع في حقله، يمثل حلقة في سلسلة المعاجم المتخصصة عموما، وفي معالجة السيميائيات خصوصا.

2. الوصف والتّعريف

أ- يتضمن قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص أكثر من ثمان مائة مادة، ممتدة عبر 272 صفحة من الحجم (25 × 16سم)، وهو على صغر حجمه، يشتمل على مادة خصبة من المصطلحات العلمية الشائعة في مجال التحليل السيميائي للنصوص السردية.

يسّر المؤلف ما استطاع الشرح والتفسير والتحليل في هذا المعجم، وضبط التعريفات، وقدمها بلغة سهلة وواضحة، بحيث ابتعد عن الحوشي والغريب، والرموز والألغاز، لم يتوسع في النصوص والشواهد التي تجد مادتها في المعجمات، واستعان بالأشكال والترسيمات، وقد شكل هذا العمل جانبا مهما في القاموس، أضاف إلى تحليل المصطلحات، وضبط المفاهيم بعدا آخر ما كان ليدرك لولا الأشكال الهندسية التي أخذت حيزا معتبرا من حجم القاموس، (27 ترسيمة).

ونظرا لقيمة هذه الأشكال والترسيمات،والوسائل المسخرة لها في المعاجم المعاصرة يمكن أن تخصص لها قراءة مستقلة تركز على طبيعة هذه الترسيمات، وأهدافها، وتطور بناها، ودلالتها على مستوى القاموس، والمشروع العلمي للباحث، لأن من بين خصوصية أسلوب الدكتور رشيد بن مالك حسن استعمال، وتوظيف الترسيمات التوضيحية، وهي من الأدوات البيداغوجية الفعالة في التواصل العلمي بين المؤلف والمتلقي،لما تحمله الترسيمة/ الشكل من حمولة معرفية/ علمية، قد تعجز التراكمات الوصفية في الكلام عن بلوغها.

ب- اعتمد المؤلف في تنظيم المصطلحات الواردة بالقاموس على الترتيب الألفبائي، وفقا للألفبائية الفرنسية، دون أن يفصل بين كل مجموعة وأخرى من هذه المصطلحات حسب حروف المعجم. ويتطلب هذا

الترتيب تقليب الصفحات من اليسار إلى اليمين، وهذا ما لم يعتمده المؤلف في هذا القاموس .

ج- ذيل المؤلف كل مادة متعلقة بشرح مصطلح من المصطلحات بإحالة أو أكثر، ليتسنى للقارئ فهم المصطلحات فهما دقيقا، والإلمام بدلالاتها المختلفة. وقد كانت الإشارة إلى ذلك بسهم ( ).

وكما يلاحظ القارئ فإن الإحالة نوعان: إحالة داخلية مستمدة من مواد القاموس، كأن يشار عقب الانتهاء من تحليل وتفسير مادة (عامل Actant) إلى الرجوع إلى المواد : (عملية-ملفوظ-وظيفة، إلخ).[2]

أما النوع الثاني من الإحالة ، فيمكن أن نطلق عليه مجازا الإحالة الخارجية، وقد لجأ إليه المؤلف كثيرا عن طريق إشارات مقتضبة تمكن القارئ من العودة إلى المصدر أو المرجع للإلمام بالجوانب الأخرى المتصلة بدلالة المصطلح، من ذلك مثلا : (غريماس 1970)في ص.32 ،و (غريماس 1973) في ص.23. ومن شأن هذه الطريقة أن تقدم للقارئ والباحث المختص الأداة الفعالة عبر المرجعية النصية، نظرا لحيويتها في قراءة النص الذي يحيل باستمرار .

ونظرا لكون الإحالة في المتن لا تثير فضول القارئ ولا تشد اهتمامه، فإن تخصيصها في أطر ملونة من شأنه أن يشد انتباهه. وهذه الطريقة مطبقة في معجم اللسانيات الحديثة أنكليزي-عربي لسامي عياد حنا وآخرين الصادر عن مكتبة لبنان ناشرون سنة1997، لكنها تتطلب تقنيات فنية عالية مكلفة ربما لم تتوفر لدى دار الحكمة بالجزائر.

د- استخدم المؤلف بعض المصطلحات بصورتها الأجنبية نظرا لعدم توفر مصطلح مقابل يعبر عن مفهومها الدقيق، ومثال ذلك :

سيمانتيم Sémantème

سيـــم Sème

سيميـم Sémème

سيميولوجيا Sémiologie

إيزوتوبيا Isotopie

هـ- الصياغة اللغوية والمتن المترجم : اعتمد المؤلف على الترجمة السياقية (Traduction dans le contexte)، وهو أسلوب معتمد لدى مختلف المترجمين والمتعاملين مع المصطلح،وفيه تهمل الترجمة القائمة على الاشتقاق اللغوي أو ترجمة "Le mot à mot" كلمة بكلمة.

3. الافتتاحيّات والملحقات

تضمن القاموس :

أ- افتتاحية للمؤلف أشار فيها إلى مضمونه، وإلى من يتوجه به إليه، وطبيعة المادة العلمية المعالجة فيه، والمرجعية النظرية المعتمدة، والأهداف المتوخاة من تأليفه على المديين : القريب والبعيد.[3]

ب- كلمة تقديم للدكتور عبد الحميد بورايو ضمنها الحديث عن الحقل المعرفي الذي كان مجالا للدراسة، والمنهج الذي قام عليه انتقاء المصطلح ، والقيمة العلمية للقاموس في المرحلة الراهنة لوضعية البحث العلمي في الجزائر والوطن العربي.[4]

ج- مقدمة للكاتب، تحدث فيها عن تأليف القاموس والأسباب الدافعة إلى ذلك، والغاية العلمية منه، والمنهج المتبع في تصميمه.[5] كما أنه قيد بداية الشروع في البحث، وهو : سنة 1983 وتاريخ الانتهاء منه،

وهو سنة 1997.

د- ملحقا بقائمة أسماء الأعلام المعربة، وقد تضمنت هذه القائمة 62 علما رتبت ترتيبا ألفبائيا.

هـ- ثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في إنجاز هذا القاموس، والملاحظ أنها مصادر ومراجع متخصصة في الحقل السيميائي.

ثانياء الأهــداف

أ- صمم هذا القاموس للطلبة والأساتذة المهتمين بدراسة السيميائيات، وهو لذلك يفترض معرفة سابقة بعلم اللسانيات والسيميائيات. فلقد كان لتجربة الباحث من خلال تدريس المناهج في تحليل الرواية الجزائرية بجامعة تلمسان تأثير كبير على وعيه بالمشاكل التي كان يعاني منها الطلاب والباحثون لفهم الدراسات والمراجع العلمية في ميدان السيميولوجيا، واستيعابها، وترجع هذه المشكلات أساسا إلى صعوبة المصطلحات السيميائية المتعددة لا سيما بعد الانتعاش العلمي ، وتزايد الطلب على الأدوات الإجرائية لتحليل النصوص السردية ، على الرغم من وجود اعتبارات عديدة تحول دون هذه الرغبة كعدم الوصول إلى صياغة مصطلحية نقدية موحدة.

ولقد كان كل ذلك من دوافع تأليف قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ليفي بهذا الغرض، ويقدم في الوقت ذاته مادة علمية يسهل على القارئ فهمها والاستعانة بها في قراءة البحوث والدراسات الغربية.

ب- تأسيا بأخلاقيات البحث العلمي، استعرض المؤلف الوضع المصطلحي

في المعاجم والدراسات اللسانية والسيمائية العربية ، فكانت النتيجة هي قلة البحوث ذات التوجه الغريماسي بالإضافة إلى اضطراب كبير في المصطلحات المعتمدة، وفوضى في ترجمة النصوص،يؤطر كل ذلك غياب إجماعي يؤسس لخطاب علمي جديد، جدير بهذا الاسم في ضوء مناخ إيبستيمولوجي يسمح بتطور النظريات النقدية، ووجود ما يمكن أن يسندها من إنجازات علمية حداثية.[6]

ويمثل هذا الوعي لدى الباحث رشيد بن مالك لحظتان : تقوم الأولى على رصد لواقع النقد العربي، وما آل إليه نتيجة هذه الفوضى المصطلحية، وغياب إجماع علمي حول المصطلحات.

وأما اللحظة الثانية، فتبدأ مباشرة بعد الثمانينيات وتتواصل حتى ظهور هذا القاموس، وتتميز هذه اللحظة بالرغبة في البحث عن البديل من أجل إنتاج قنوات تبادل وحوار بين الباحثين، يتحول البحث العلمي بموجبها إلى تعبير عن رؤى عالمية لا رؤى فردية للأشياء والواقع، يمكن أن توصف كنظام فكري تعززه الفعاليات العلمية في إطار مشروع جماعي، وهو ما ينسجم وأهداف جمعية رابطة السيميائيين الجزائرية التي تأسست سنة 1998، والذي يعد الباحث رشيد من بين مؤسسيها النشطين.[7]

ج- يقدم هذا المؤلف مادة علمية خصبة، في غاية من الأهمية، ذلك أن المصطلحات التي اشتغل عليها الكاتب تمثل مفاتيح لمقاربة أي نص سردي، فهي بمثابة الضوابط العلمية التي يستأنس إليها الباحث في التحليل السيميائي.

ومما لاشك فيه، أن هذا المعجم يمثل خير أداة تفيد الباحث، وتعينه على تجاوز مشاكل الترجمة، وتقيه فوضى الاستعمالات المصطلحية.

د- لقد عودتنا المؤلفات الأكاديمية تبني الحياد إزاء القضايا والمفاهيم والمصطلحات التي تطرحها، وهو حياد غالبا ما يخفي اتجاهات نظرية لا يراد للقارئ والمتلقي أن يكتشفها مباشرة، أما المعجم الذي نحن بصدد تقديمه فإنه لا يخفي اتجاهه، بل يقدم في كل مادة يعالجها مرجعه، بحيث يمكن القارئ من مراجعة المادة في مظانّها، كما يمكنّه من مواصلة المغامرة في البحث.

هـ- لقد درج المجمعيون قديما وحديثا على ألا يقيسوا أعمالهم بمقاييس الزمن، بل يروّون فيها ما وسعهم، ويحكمونها ما استطاعوا، وكان من حظ هذا القاموس أن توافرت فيه هذه الشروط، فلقد أنجز بعد جهد شاق وطويل، دام عشريتين من الزمن (الثمانينيات والتسعينيات) وكانت هذه المدة كفيلة بتنقيح مواده وتشذيبها، وإثرائها في ضوء تجدد المعارف وتطورها.

ثالثا. مقارنة بين قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ومعجم اللسانيات الحديثة ومعجم المصطلحات الأدبية الحديثة والمعاصرة

بين قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (2000) ومعجم اللسانيات الحديثة "1997"[8]،أكثر من قاسم مشترك، وأكبر ما يجمعهما التخصص في حقل معرفي متقارب، ومنهج بناء المادة المصطلحية المترجمة من لغة أجنبية إلى ما يقابلها في اللغة العربية، مع اعتماد الأشكال والجداول والترسيمات للإيضاح. وهي من المسائل التي تشغل اليوم الباحثين في ميدان ترجمة المصطلح الأجنبي في الحقول المعرفية المعاصرة كاللسانيات والسيميائية والأسلوبية وغيرها.

ومن بين الفروق الجوهرية بين المعجمين :

1- صمم معجم اللسانيات الحديثة لكل فئات القراء حتى الذين ليست لهم معرفة سابقة بعلم اللسانيات الحديثة. بينما قدم قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص للمشتغلين بالسيميائيات من طلاب وباحثين.

2- حرص مؤلفو معجم اللسانيات الحديثة على انتقاء المصطلحات التي تلقي الضوء على تطور مفهوم العلم اللساني منذ القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بالإضافة إلى المصطلحات اللازمة للمهتمين باللسانيات الحديثة والمرتبطة بالمدارس والاتجاهات اللسانية ، كما شملت المصطلحية بعض المفاهيم التي لها صلة بالبحث عن علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى، ومعظم المصطلحات التي لها علاقة بمستويات التحليل اللساني : الصوتي، الصرفي، التركيبي، الدلالي والمفاهيم المختلفة بالحقل اللساني ...

في حين لم يتقيد قاموس المصطلحات السيميائية بالمصطلحات المؤسسة للنظرية السيميائية التي جاء بها غريماس في قاموسه ،على الرغم من أنها تشكل محور البحث. (ص. 5)

ومن خلال مقارنة العملين، يبدو أن العمل الجماعي (معجم اللسانيات الحديثة ...) يبحث عن رصد المصطلحات المؤسسة لهذا العلم، ويتتبع تطورها،وإن كان هذا التوجه غير مطرد في كل مواد المعجم، مما حال دون تحديد المادة العلمية، وصعّب المهمة على اعتبار أن الإلمام بالمصطلح اللساني بشكل شمولي مطمح صعب المنال.

وعلى العكس من ذلك، حدد العمل الفردي (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص...) موضوعه بدقة وهو : البحث عن ترجمة وتحليل المصطلحات السيميائية الخاصة بتحليل النصوص، مما

مكّن الباحث من حصر مادته ، والتحكم فيها بدقة وموضوعية.

كما فضلت أن تشمل هذه المقارنة معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (1984) لسعيد عليوش[9] لاعتبارات كثيرة،منها :

أ- اختلاف في التوجه المنهجي العام، فبينما اختار رشيد بن مالك مبدأ التخصص في حقل السيميائيات، وتحديدا المصطلحات المتعلقة بالجانب التحليلي للنصوص في منظور النظرية السيميائية، اتجه سعيد علوش إلى رصد كل المصطلحات الأدبية المعاصرة، فبين تحديد مجال البحث في جانب من حقل معرفي واحد، والبحث في مدونة تشمل حقولا متعددة يصعب الإلمام بها، ورصد كل المواد التي تشتغل عليها اختلاف منهجي كبير.

ب- الفارق الزمني بين صدور المؤلفين، حيث صدر قاموس المصطلحات الأدبية المعاصرة سنة 1984، بينما صدر قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص سنة 2000، وهو هامش زمني كبير في عمر المعاجم المصطلحية، التي تعرف تحديات على مستوى تجدد المصطلحات وتطورها.

ج- اختلافهما الجوهري في طريقة نقل المصطلح من اللغة الأصلية "langue source" (L.S) إلى اللغة الهدف "langue cible" (L.C)، فبينما يعتمد سعيد علوش في أكثر من موقع على ترجمة المصطلح ترجمة قاموسية دون عناء البحث عن اختلاف المفاهيم لهذا المصطلح في ثقافته الأدبية الأصلية، ودون التفكير في الإحالة على المراجع والمصادر، يلجأ رشيد بن مالك إلى رصد المفاهيم المختلفة للمصطلح الواحد حتى يقف القارئ على وضعية المصطلح في ثقافته الأصلية، ومدى لاستقراره في الثقافة العربية.

وللوقوف على أوجه الخلاف بين المؤلفين أحيل إلى مداخلة الدكتور رشيد بن مالك التي ألقيت في الملتقى السادس للترجمة والاختلاف، جامعة وهران[10] والتي عالج فيها منهج نقل مصطلح "القيمة" إلى اللغة العربية من قبل سعيد علوش والأخطاء العلمية التي وقع فيها.

ويختص قاموس مصطلحات التحليل السيميائي بميزتين، هما : التجزؤ والدائرية، ومرد الصفة الأولى، إلى أنه يخضع إلى ما تخضع إليه سائر المؤلفات المعجمية التقليدية من تنظيم المادة وفق الترتيب الأبجدي، مما يفضي إلى فصل المفاهيم المنتظمة في سياق نظري واحد بعضها عن بعض، إلاّ أن القارئ يلاحظ -وهذا ما يفسر صفة الدائرية- أن بعض المواد يحيل على بعض، وبعضها يشرح بعضا، مما يوحي بانتظامها جميعا في نسق فكري متكامل، وإن كانت جوانب عدّة من هذا العمل (القاموس) تحتاج -فيما يصرح به الباحث نفسه- إلى مزيد من الضبط والتدقيق. ولذلك يأمل الباحث في تكوين مشروع جماعي يطور أدوات البحث في هذا الحقل المعرفي : التحليل السيميائي للنصوص السردية.

ولأننا نريد أن نتعرّف على منجز الحركة النقدية للنصوص السردية في العالم العربي، من حيث النظرية والتطبيق، آثرنا تقديم نماذج تمثل اتجاها نقديا يتخذ من الشكل الروائي موضوعا له، ومن البنيوية والسيميولوجيا منهجا، وإن كنا ندرك أن عملنا لا يمكنه أن يقدم صورة كاملة عن النقد الفني للنصوص السردية العربية، كما أراده لها بعض النقاد العرب، نظرا لاعتبارات منهجية، إذ لا يمكن أن يفي فصل من هذه الدراسة الحركة النقدية العربية التي يتسع إطارها من يوم لآخر، حقها.

ولكن ما استوقفنا، ونحن بصدد تحديد النماذج النقدية لتكون موضوعا للبحث، الإشكالية التي تطرحها أغلب هذه النماذج، والمتمثلة،

في : هل الاعتماد على المنهج البنيوي، والمنهج السيميولوجي يعتبران تجاوزا للمناهج الأخرى، كالمنهج التاريخي، والاجتماعي، والنفسي ؟ وهل هي القطيعة المطلقة مع المنجز من المعرفة النقدية السابقة، بحيث تغدو القراءة الداخلية للنص مركز الثقل، ونقطة الارتكاز ؟ أم أن هناك موقفا ثالثا، يدعو إلى استثمار المنهجيّن : البنيوي والسيميولوجي في تحليل النص الأدبي، دون إغفال بعده السوسيولوجي، والإيديولوجي، كما دعا إلى ذلك جولدمان في دراسته "من أجل سوسيولوجية الرواية - Pour une sociologie du roman"، أو تحليل باختين للخطاب الروائي[11] أو الناقد "بيير ماشيري"، وهو "من النقاد الذين لهم توجّهٌ نحو سوسيولجيا النص الأدبي، لقوله بضرورة الاستفادة من اللسانيات الحديثة لأجل فهم النص، وبعد ذلك وضعه في سياقه الاجتماعي".[12]

لا نكاد نلمس الوعي بهذا الإشكال في أغلب التصورات النظرية التي ينطلق منها ناقدو الإبداع الروائي، اللهم إلا ما ورد منها في مجال نقد النقد.[13]

الإحالات

(1)- رشيد بن مالك، مصطلحات التّحليل السيميائي للنصوص، عربي-إنجليزي-فرنسي، 272 ص (25 × 16 سم)، تجليد فني، دار الحكمة، الجزائر، 2000.

(2)- القاموس، ص 16-15.

(3)- القاموس، ص 6-5.

(4)- نفسه، ص 9-7.

(5)- نفسه، ص 10-13.

(6)- القاموس، (مقدمة الكاتب)، ص 11.

(7)- نفسه، (تقديم الدكتور : عبد الحميد بورايو)، ص 8.

(8)- سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة، إنكليزي-عربي، 184 ص. (17 × 25 سم)، تجليد فني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.

(9)- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية الحديثة والمعاصرة،مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.

(10)- رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، محاضرة ألقيت في الملتقى السادس حول "الترجمة والاختلاف"، بجامعة وهران أيام : 15 و16 ماي 2000. (مخطوط)

(11)- Lucien Goldmann, Pour une sociologie du roman, Editions, Gallimard, Paris, 1964.

(12)- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.

(13)- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص. 97.

(14)- انظر في هذا الصدد :

- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص.97 وما بعدها، وكذا البنية السردية في النظرية السيميائية، للدكتور رشيد بن مالك. ص. 2 و 3.